Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يشق الحلق: "فندق! وبعد كل هذا الحنين!".

إن الغربة تتجدد كأسمائها على هذا -ذلك الغريب الذي يعرفه مريد البرغوثي بالشخص الذي يجدد تصريح إقامته، ويملأ النماذج، ويشتري الدمغات والطوابع، وعليه أن يقدم البراهين والإثباتات: الغريب هو هذا- ذلك الذي يسألونه دائماً: من وين الأخ؟ أو يسألونه: هل الصيف حار عندكم؟

لا تعني الغريب التفاصيل الصغيرة في شئون القوم أو سياساتهم الداخلية، كما يكتب مريد البرغوثي، لكنه أول من تقع عليه عواقب تلك التفاصيل، وقد لا يفرحه ما يفرح أولاء القوم، لكنه يخاف عندما يخافون.

من حق الدكتور علي الراعي ألا يرى في (رأيت رام الله) مجرد كتاب، بل ذوب قلب وعصارة حياة قضاها الشاعر المرموق (مريد البرغوثي) بين المهاجر والمنابذ والمنافي. وحين يكتب البرغوثي عودته بعد اتفاق أوسلو سيكتب العائد غريباً لم يعد له إلا (الحب الغيابي)، وسيكتب أن الأمر قد انتهى (خلص) فالاحتلال خلق أجيالاً من الفلسطيني الغريب عن فلسطين، بوسعها أن تعرف كل زقاق من أزقة المنافي البعيدة، وتجهل بلادها. أجيال لم تزرع ولم تصنع ولم ترتكب أخطاءها الآدمية البسيطة في بلادها. لقد جال العائد في المكان، عاد إلى حيث ولدته أمه، لكن (دير غسان) مثل المكان المستعاد والمكان الضائع في تجربة العودة هذه، يطلق الأسئلة الجارحة التي تنقض الماضي والحاضر. ويصوغ العائد الأسئلة بضمير الجماعة فتغدو استنكاراً وشكاً وترجيحاً، من صميم أدب النكبة وعيشها، ولكن بلغة أخرى ونظر آخر، فنقرأ: كيف غنينا لبلادنا ونحن لم نعرفها؟ هل نستحق الشكر أم اللوم على أغانينا؟ هل كذبنا قليلاً؟ كثيراً؟ على أنفسنا؟ على الآخرين؟ أي حب ونحن لا نعرف المحبوب؟ ثم لماذا لم نستطع الحفاظ على الأغنية؟ أم لأن تراب الواقع أقوى من سراب الأغنية؟ أم لأن الأسطورة هبطت من قممها إلى هذا الزقاق الواقعي؟

وإذ يخرج العائد من غربة ويدخل في غربة يجأر بالحقد على صور الموتى التي تتصدر بيوت المنافي وحمالات المفاتيح التي يؤرجح المنفيون فيها رموزاً من الوطن.فكل الصراعات تفضل رموزها وتحتاجها، والاحتلال مصلحته تحويل الوطن في ذاكرة سكانه الأصليين إلى رموز.

أليس هذا ما يجعل العائد يود أن يلكز الماضي المستمر في مكانه كحمار، ويقول له بصوت حزين: اركض؟ أليس هذا ما يجعل ذاكرة العائد تقتل الماضي كما انجلى فيها؟ إن العائد هذه المرة لا يريد استرداد الماضي، لا يبكي على